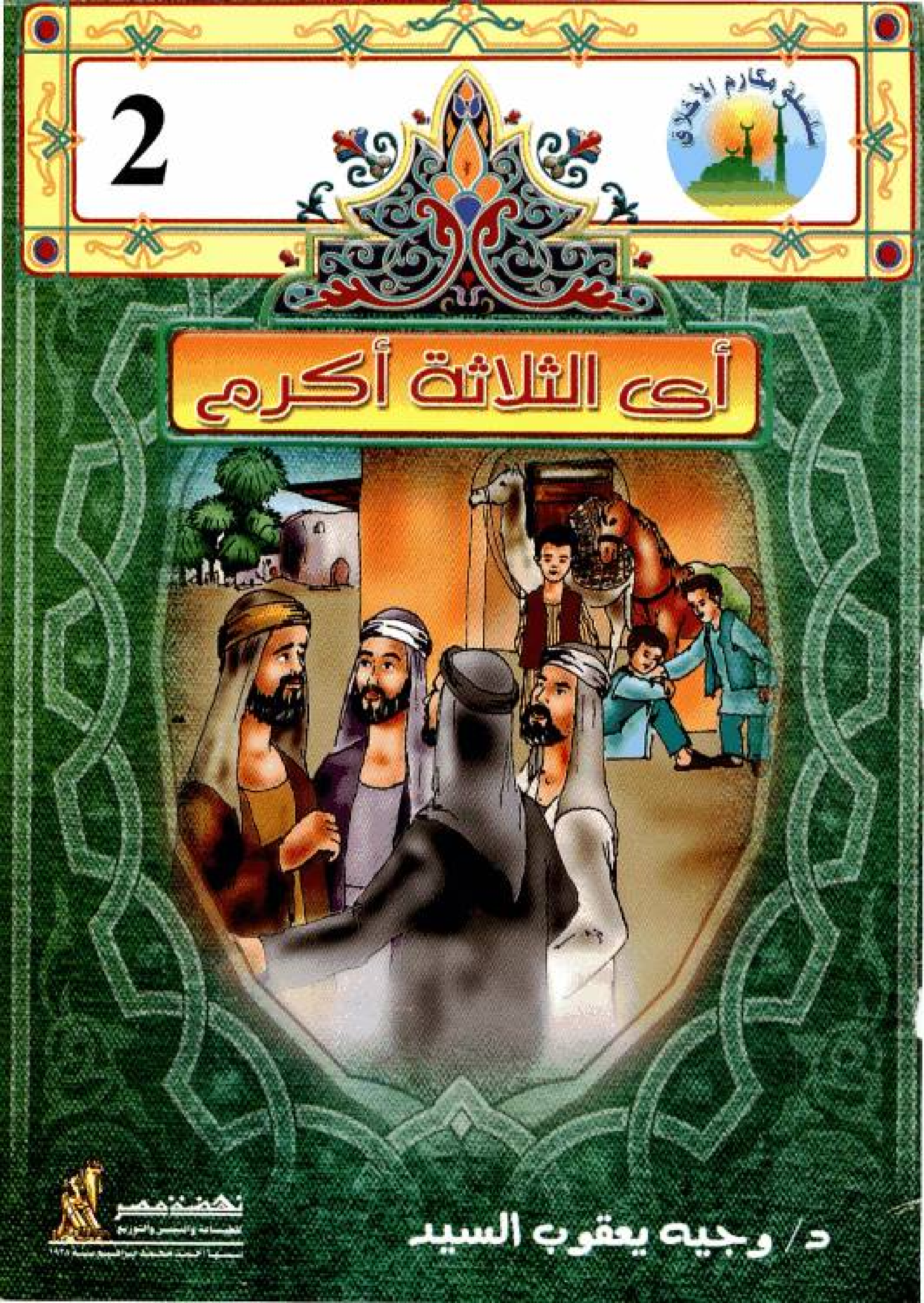

سلسلة مكارم الأخلاق
2
أى الثلاثة أكرم
نهضة مصر
د/ وجيه يعقوب السيد



أيُّ الثَّلاثةِ أكْرَمُ؟



قصــــة : د. وجيه يعقوب السيد

مــدرس بـكـلـيــة الألســن

رســوم : مــنـــال راشـــد

إشــراف عــام : داليـا محـمـد إبراهـيـم



الترقيم الدولي: 5-1749-14-977 رقم الإيداع: 2001/1696 تاريخ النشر: يناير 2002

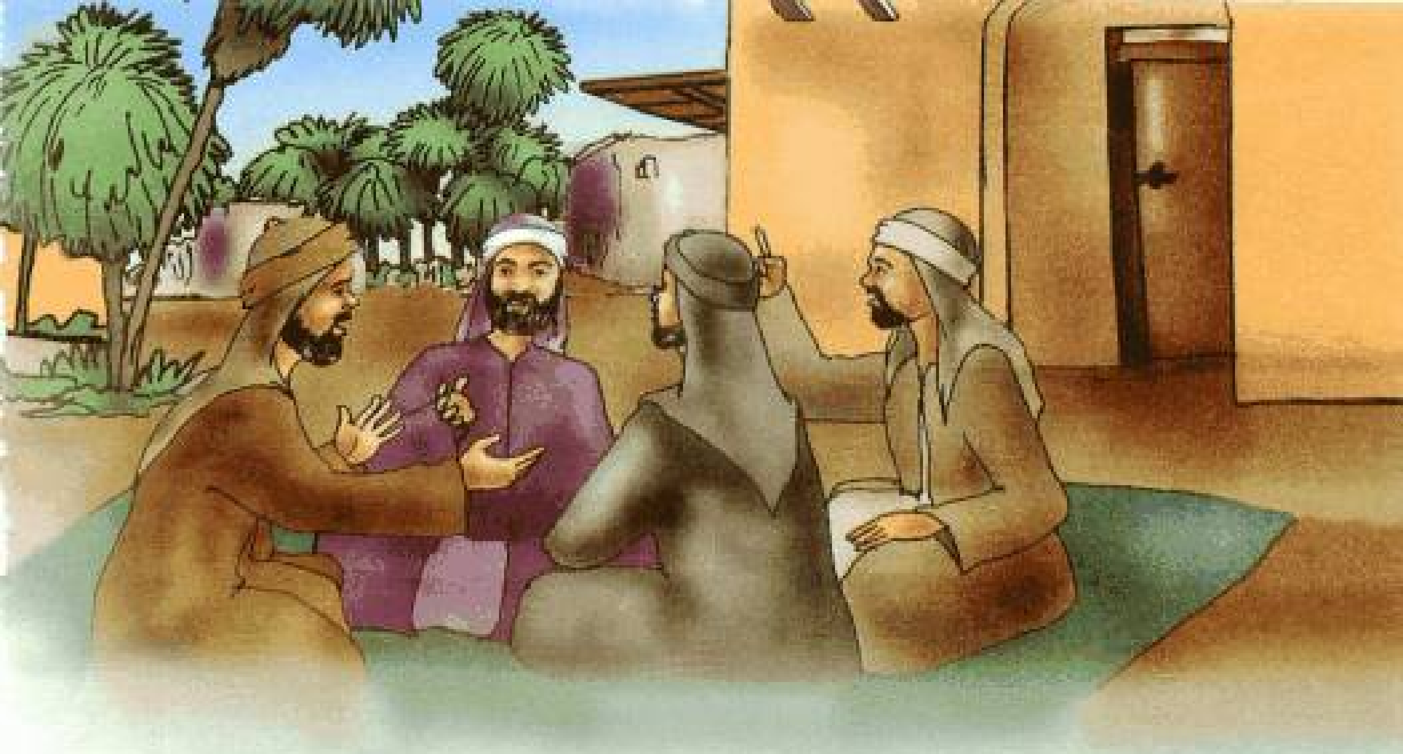
الإدارة العامة: 21 ش أحمد عرابي - المهندسين ص.ب: 21 إمبابة ت: 3466434 - 3472864 فاكس: 02/3462576

المركز الرئيسي: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة 6 أكتوبر ت: 8330287 - 8330289 فاكس: 02/8330296

مركز التوزيع: 18 ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة ت: 5909827 - 5908895 - 5898085 فاكس: 02/5903395

فرع الإسكندرية: 408 طريق الحرية - رشدي ت: 5230569(03) www.nahdetmisr.com

فرع المنصورة: 47 ش عبد السلام عارف ت: 050-2259675 publishing@nahdetmisr.com



كَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ مُجْتَمِعِينَ فِى دَارِ أَحَدِهِمْ، وَفَجْأَةً طَرَحَ عَلَيْهِم أَحَدُ الحَاضِرِينَ سُؤالاً غَرِيباً فَقَالَ :

مَنْ أَسْخَى النَّاسِ فِى عَصْرِنَا هَذَا ؟

وَبِلاَ تَرَدُّدٍ قَالَ رَجُلٌ :

أَسْخَى النَّاسِ هُوَ عَبْدُاللهِ بنُ جَعْفَر بْن أَبِى طَالِبٍ .

وَقَالَ آخَرُ :

بَلْ أَسْخَى النَّاسِ هُوَ عَرَابَةُ الأَوْسِى، الَّذِى قَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ :

رأيتُ عَرَابَةَ الأَوْسِىَّ يَسْمُو إِلَى الخَيْراتِ مُنْقَطِعَ القَرِينِ
إِذَا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ

وَقَالَ ثَالِثٌ :

وَأَيْنَ سَخَاءُ عَبْدِاللهِ بْنِ جَعْفَر وَعَرَابَةِ الأَوْسِىّ مِنْ سَخَاءِ قَيْسِ بن سَعْدِ ابن عُبَادَةَ، إِنَّهُ أَسْخَى النَّاسِ فِى زَمَانِنَا بِلاَ مُنَازِعٍ .



وَتحوّلَ النّقاشُ الهادئُ إلىَ جدالٍ شَديدٍ، وتحيّزَ كلُّ رجلٍ لرأيه، فابْتسم الرّجُلُ الّذي طرحَ عليهم السُّؤالَ وقالَ في هُدُوءٍ :

إنَّكُمْ لمْ تفطنُوا للسُّؤالِ الّذي طرحْتُهُ عليكُمْ، فما قصدْتُ إلى إثارةِ هذا الجدَلِ .

ثُمّ أضافَ قائلاً :

وَعلى أيّةِ حالٍ، فبإمكانِنا أنْ نحْكُمَ على صِحّةِ هذهِ الآراءِ بشكْلٍ صَحيحٍ وحياديّةٍ تامّةٍ قبْلَ أنْ ينفضَّ مجلسُنا هذا .

فسألُوهُ جميعًا :

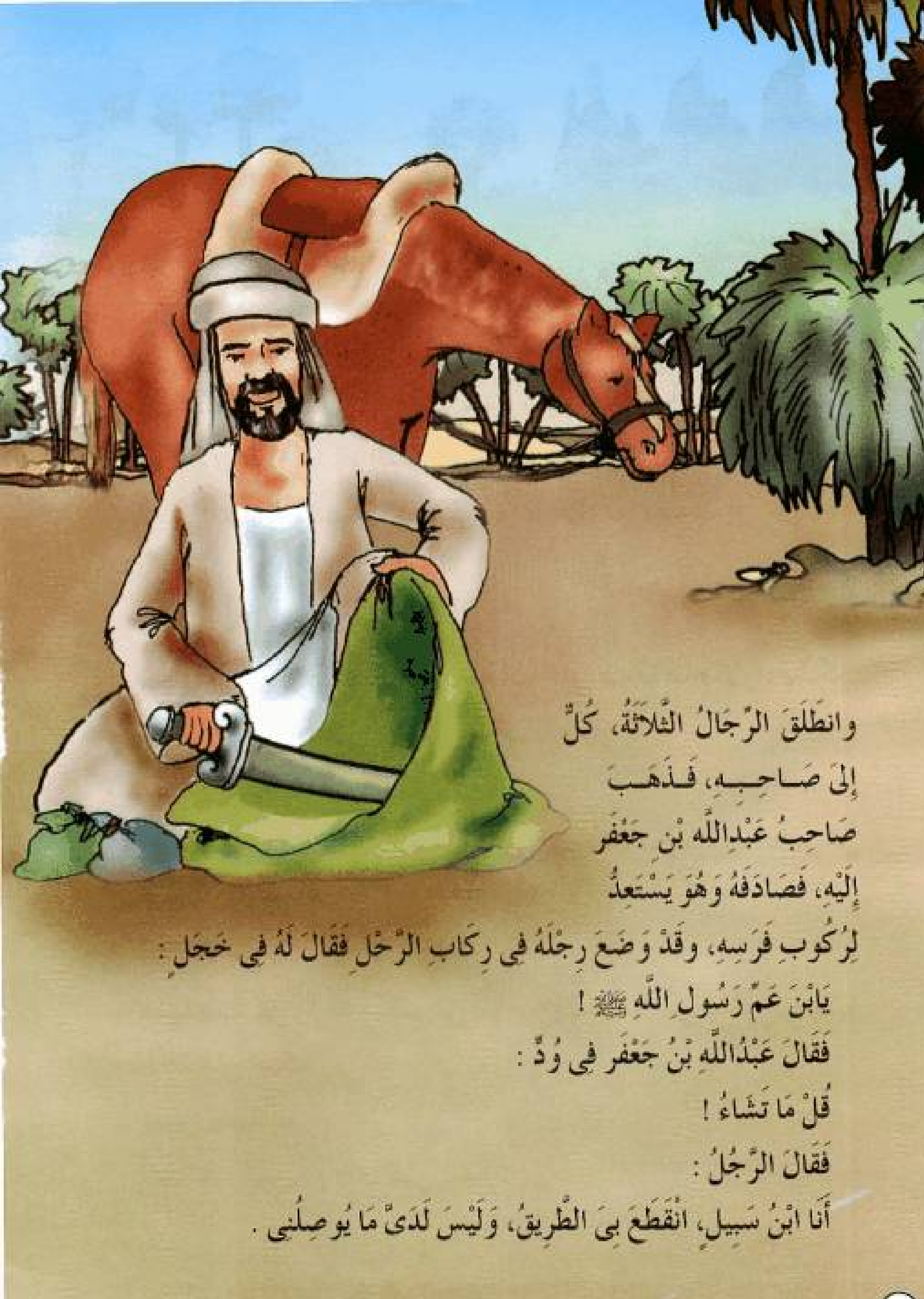
وَكيْفَ نعْرِفُ ذلكَ ونتأكّدُ منْهُ، وَما هيَ إلاّ حكاياتٌ يتداولُها النّاسُ عنْ سخاءِ هؤلاءِ وَجُودِهم .

فقالَ الرّجُلُ :

فلْيذْهبْ كُلُّ واحدٍ منْكُمْ إلى صاحبِهِ ويسْألْهُ، حتّى ننْظرَ ما يُعْطيهِ ونحْكُمَ على العيانِ .

فقالُوا جميعاً :

أصبْتَ، وليْسَ منْ رأى كمَنْ سمعَ !



وانطَلَقَ الرِّجَالُ الثَّلاثَةُ، كُلٌّ
إِلَى صَاحِبِهِ، فَذَهَبَ
صَاحِبُ عَبْدِاللَّه بْنِ جَعْفَر
إِلَيْهِ، فَصَادَفَهُ وَهُوَ يَسْتَعِدُّ
لِرُكُوبِ فَرَسِهِ، وقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي رِكَابِ الرَّحْلِ فقَالَ لَهُ فِي خَجَلٍ:
يَابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ!
فَقَالَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ جَعْفَر فِي وُدٍّ:
قُلْ مَا تَشَاءُ!
فَقَالَ الرَّجُلُ:
أَنَا ابْنُ سَبِيلٍ، انْقَطَعَ بِيَ الطَّرِيقُ، وَلَيْسَ لَدَيَّ مَا يُوصِلُنِي.



وَعلى الْفَوْرِ أَخْرَجَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ رِجْلَهُ مِنْ رِكابِ فَرَسِهِ وقَالَ لِلرَّجُلِ :
ضَعْ رِجْلَكَ، واسْتَوِ عَلَى الرَّاحِلَةِ وخُذْ مَا فِي الحَقِيبَةِ .
ثُمَّ أَوْصَاهُ قَائِلاً :
اعْلَمْ أَنَّ فِي الحَقِيبَةِ سَيْفَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَاحْتَفِظْ بِهِ فَهُوَ أَغْلَى مَا أَمْتَلِكُ !
فَقَالَ الرَّجُلُ :
لَقَدْ أَثْقَلْتُ عَلَيْكَ يَابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ، فَهَلاَّ أَبْقَيْتَ لِنَفْسِكَ مَا فِي الحَقِيبَةِ وأَخَذْتُ أَنَا الرَّاحِلَةَ فَحَسْب !
فَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :
لاَ عَلَيْكَ يَا أَخِي، فَإِنَّهُ مَا كَانَ لِلَّهِ دَامَ وَاتَّصَلَ .
وَرَكِبَ الرَّجُلُ الرَّاحِلَةَ وَانْطَلَقَ بِهَا بَعِيداً عَنْ أَنْظَارِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، ثُمَّ رَاحَ يَتَفَقَّدُ مَا بِدَاخِلِ الحَقِيبَةِ فَوَجَدَ فِيهَا أَرْبَعَةَ آلافِ دِرْهَمٍ وَعَدَداً مِنَ الثِّيَابِ الثَّمِينَةِ، وأَعْظَمُ مَا فِي الحَقِيبَةِ كَانَ سَيْفَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، حَيْثُ لاَ يُقَدَّرُ بِمَالٍ .
فَتَعَجَّبَ الرَّجُلُ وَقَالَ لِنَفْسِهِ :
هَلْ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَسْخَى وَأَجْوَدُ مِنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ؟



وَمَضَى صَاحِبُ قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَوَجَدَهُ نَائِماً، فَقَالَتْ لَهُ الْجَارِيَةُ :

إِنَّ سَيِّدِى نَائِمٌ، فَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ ؟ فَقَالَ :

ابْنُ سَبِيلٍ انقَطَعَ بِىَ الطَّرِيقُ، وَأُرِيدُ شَيْئاً أَبْلُغُ بِهِ إِلَى مَا أُرِيدُ .

فَقَالَتِ الجَارِيَةُ :

إِنَّ حَاجَتَكَ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ أُوقِظَهُ !

ثُمَّ نَاوَلَتْهُ كِيساً وَقَالَتْ :

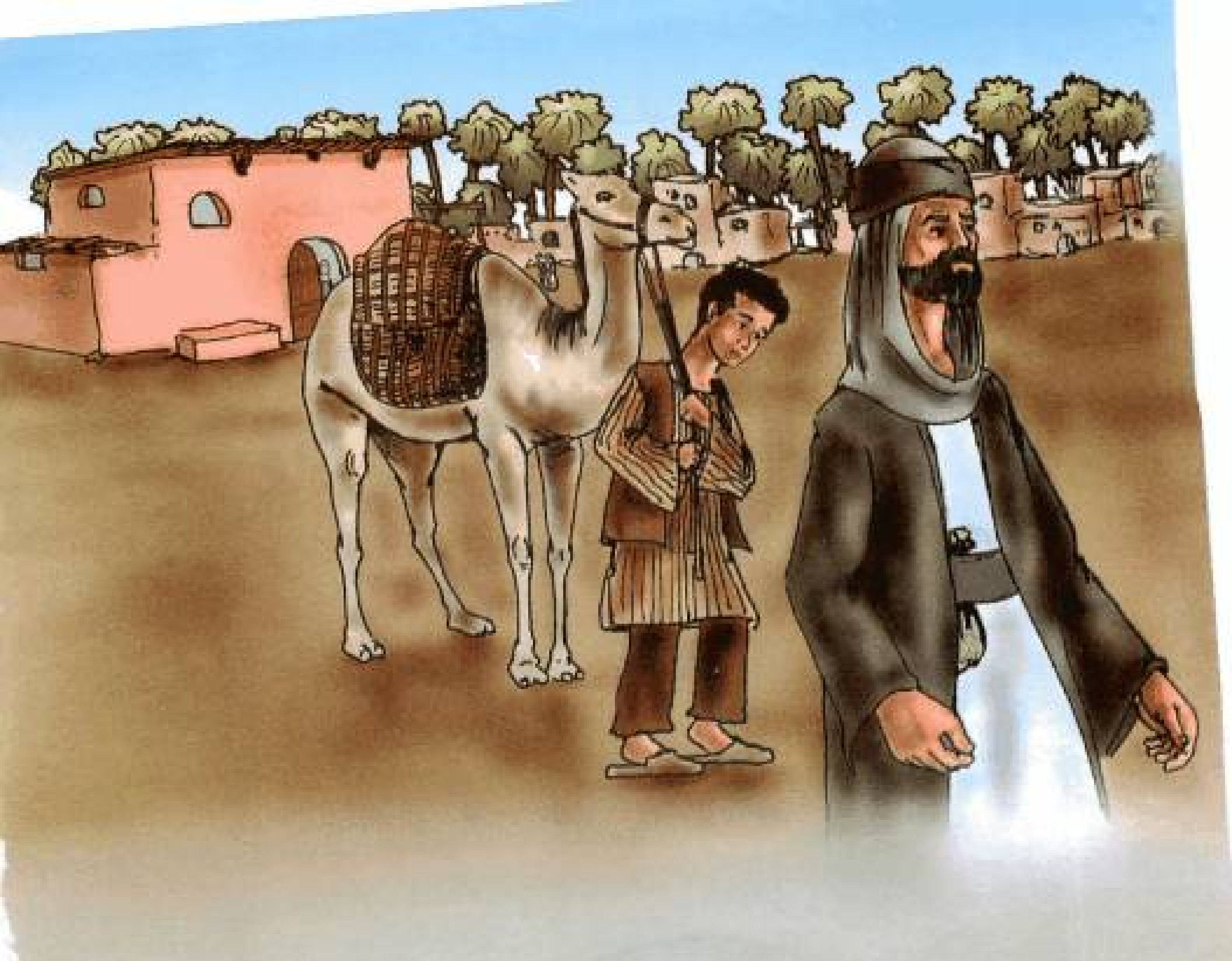
هَذَا كِيسٌ فِيهِ سَبْعُمَائَةُ دِرْهَمٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ فِى دَارِ قَيْسٍ غَيْرُهُ.

وَنَادَت الجَارِيَةُ غُلامَ قَيس بْن سَعْدٍ وَقَالَتْ لَهُ :

امْض مَعَ هَذَا العَابِرِ إِلَى مَكَانِ الإِبلِ، وأَعْطِهِ رَاحِلَةً وَمَا يُصْلِحُها .

فَمضَى الرَّجُلُ وقَدْ حَصَلَ عَلَى رَاحِلَةٍ وجِهَازِهَا وحَصَلَ عَلَى عَبْدٍ مِنْ عَبِيدِ قَيْس بْن سَعْدٍ لِكَى يَكُونَ فِى خِدْمَتِهِ كَمَا حَصَلَ عَلَى سَبْعُمَائة دِرْهَم، هِىَ كُلُّ مَا كَانَ فِى مَنْزِل قَيْس بْنِ سَعْدٍ .





وَتَعَجَّبَ الرَّجُلُ وَقَالَ لِنَفْسِهِ :

هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَتَصَرَّفَ هَذِهِ الْجَارِيَةُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهَا، إِلاَّ إِذَا كَانَتْ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا يُرْضِي سَيِّدَهَا، وَهَلْ هُنَاكَ إِنْسَانٌ بِمِثْلِ هَذَا الْجُودِ فِي هَذَا الزَّمَانِ ؟

وَلـمَّا اسْتَيقَظَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ مِنْ نَوْمِهِ أَخْبَرَتْهُ جارِيتُهُ بِما صَنَعَتْ فَقَالَ في دَهْشَةٍ :

أَحَقًا ما تَقُولِينَ ؟ فَقالَتْ :

نَعَمْ يَاسَيِّدِى، لَقَدْ أَعْطَيْتُهُ كِيسَ الدَّرَاهِمِ المَوْجُودَ بِالدَّارِ، وأَرْسَلْتُ مَعَهُ غُلامَكَ فَأَعْطاهُ راحِلَةً بِجهازِهَا وعَبْدًا مِنْ عَبِيدِكَ .

فَقَالَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ في سَعادَةٍ :

اذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ لِوَجْهِ اللَّهِ .





وَمَضَى صَاحِبُ عرَابَةَ الأَوْسِيِّ إِلَيْهِ، فَوَجَدَهُ قَدْ خَرَجَ مِنْ مَنزِلِهِ يُرِيدُ الصَّلاَةَ، وَهُوَ يَسْتَنِدُ عَلَى عَبْدَيْنِ، وقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ، فَاسْتَوْقَفَهُ الرَّجلُ وَقَالَ :

السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ يَا عَرابَةُ .

فَقَالَ عَرابَةُ :

وَعَلَيْكُمُ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُهُ، نَزَلْتَ أَهْلاً وحَلَلْتَ سَهْلاً .

فَقَالَ الرَّجُلُ :

يَا عَرابَةُ، أَنَا ابْنُ سَبِيلٍ، فَهَلْ أَجِدُ عِنْدَكَ شَيْئاً أَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى الرَّحِيلِ ؟

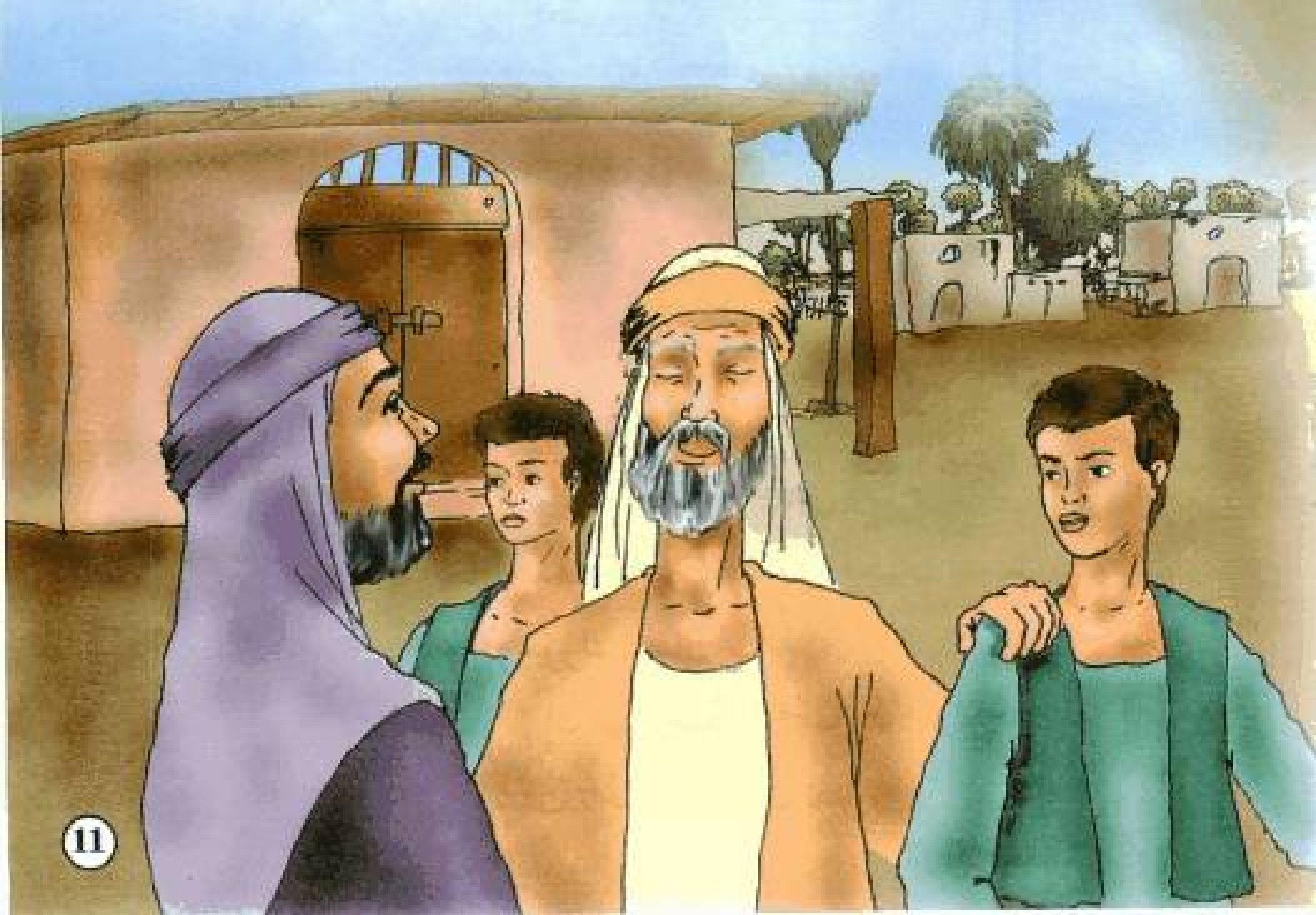
فَتفكَّرَ عَرابَةُ قَلِيلاً، ثُمَّ ضَرَبَ كَفًّا بِكَفٍّ وقَالَ وكَأَنَّهُ يُحدِّثُ نَفْسَهُ:

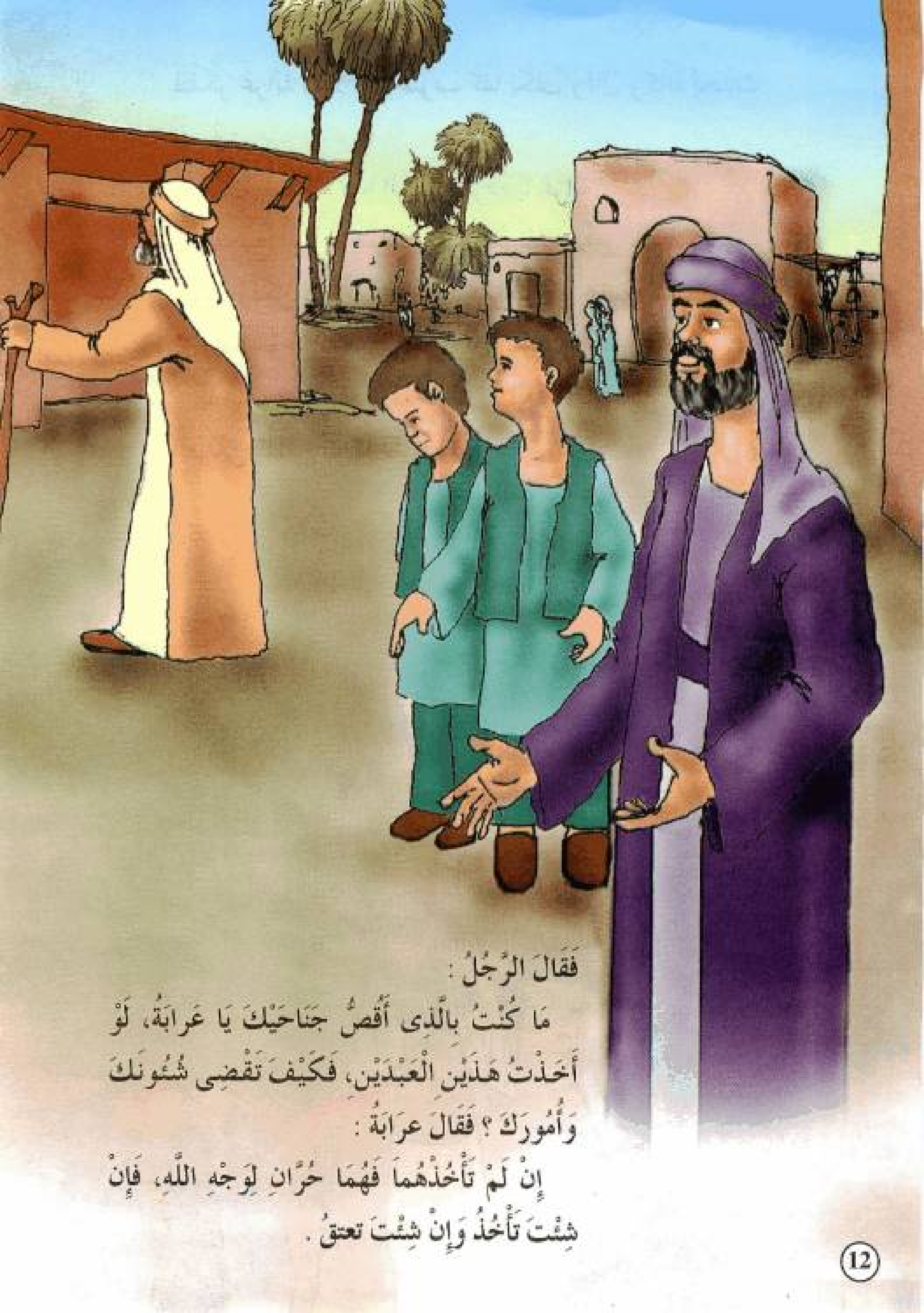
كَيْفَ يَقْصِدُكَ هَذَا الرَّجُلُ وتَرُدُّهُ يا عَرابَةُ؟

صَحِيحٌ أَنَّكَ لاَ تَمْلِكُ شَيْئاً فَقَدْ نَفِدَتْ أَمْوالُكَ فِي وُجُوهِ الخَيْرِ، وَلَكِنْ لاَ يَجِبُ أَنْ يَعُودَ هَذَا الرَّجُلُ خَائِبَ المَسْعَى..

وَاقْتَرَبَ عَرابَةُ مِنَ الرَّجُلِ وَقَالَ لَهُ وَهُوَ يَعْتَذِرُ:

يَا هَذَا، إِنَّ الحُقُوقَ لَمْ تَتْرُكْ لِعَرابَةَ مَالاً، وَلَكِنْ خُذْ هَذَيْنِ العَبْدَيْنِ اللَّذَيْنِ أَتوَكَّأُ عَلَيهِمَا.

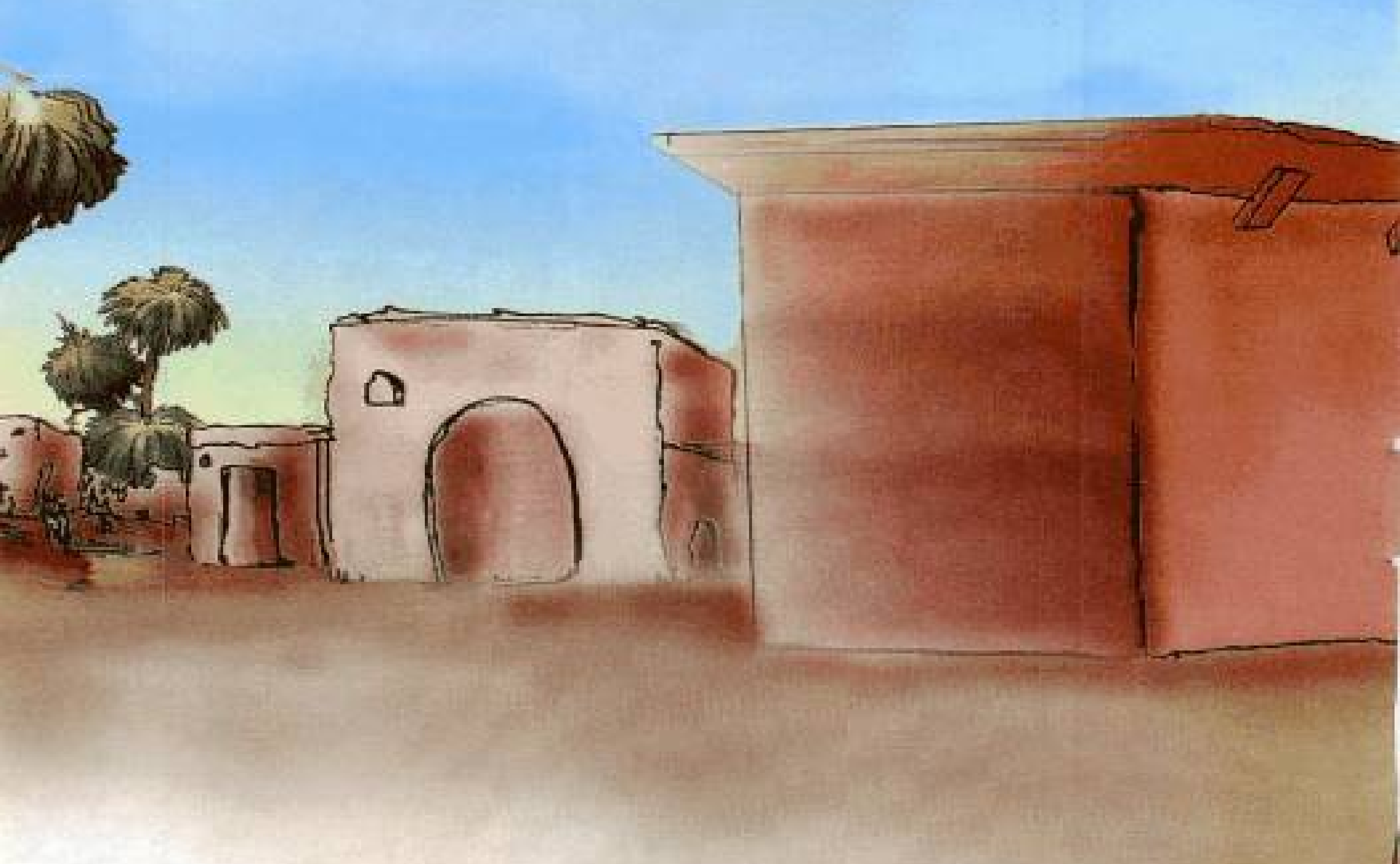




فَقَالَ الرَّجُلُ :

مَا كُنْتُ بِالَّذِى أَقُصُّ جَنَاحَيْكَ يَا عَرَابَةُ، لَوْ أَخَذْتُ هَذَيْنِ الْعَبْدَيْنِ، فَكَيْفَ تَقْضِى شُئُونَكَ وَأُمُورَكَ ؟ فَقَالَ عَرَابَةُ :

إِنْ لَمْ تَأْخُذْهُمَا فَهُمَا حُرَّانِ لِوَجْهِ اللَّهِ، فَإِنْ شِئْتَ تَأْخُذُ وَإِنْ شِئْتَ تعتقُ .



فَأَخَذَهُمَا الرَّجُلُ وَقَالَ فِي تَأَثُّرٍ :

لَيْسَ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَسْخَى مِنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَقَدْ بَذَلَ كُلَّ مَا يَمْلِكُ رَغْمَ حَاجَتِهِ الشَّدِيدَةِ لَهُ .

وَأَخَذَ عَرَابَةُ الأَوْسِيُّ عَصًا وَرَاحَ يَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا، وَأَخَذَ يَسِيرُ فِي طَرِيقِهِ وَعَلَى وَجْهِهِ ابْتِسَامَةٌ عَرِيضَةٌ تُعَبِّرُ عَنْ سَعَادَتِهِ بِمَا قَامَ بِهِ وَرِضَاهُ التَّامّ عَمَّا فَعَلَهُ وَعَمَّا أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَعَادَ الرِّجَالُ الثَّلاثَةُ إِلَى دَارِ صَاحِبِهِمْ فَسَأَلَهُمْ فِي سَعَادَةٍ :

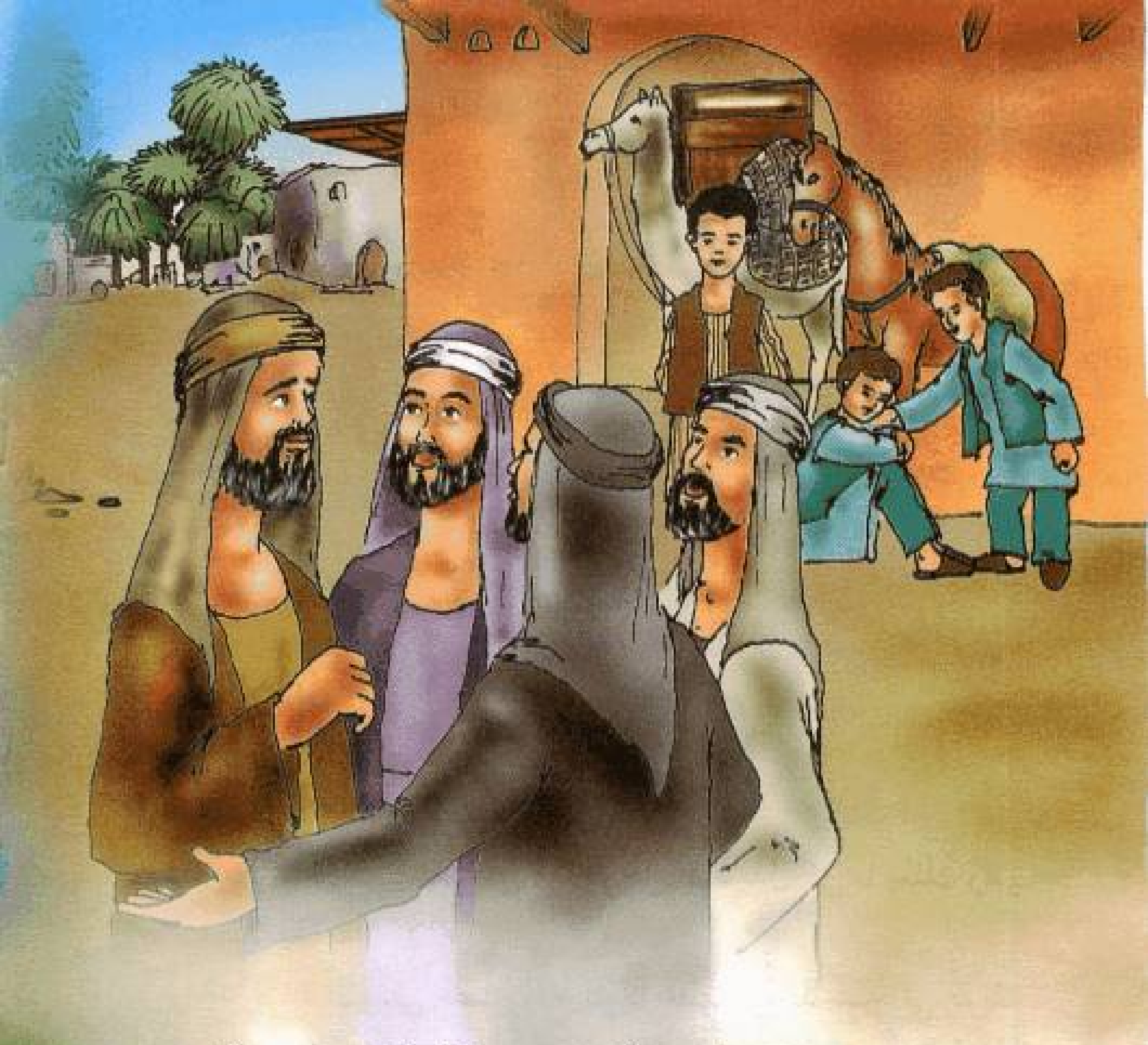
مَاذَا فَعَلْتُمْ ؟

فَقَصُّوا عَلَيْهِ مَا حَدَثَ، فَأَعَادَ عَلَيْهِم السُّؤَالَ :

فَمَنْ أَسْخَى الثَّلاثَةِ بَعْدَ أَنْ رَأَيْتُمْ بِأَعْيُنِكُمْ ؟ فَقَالُوا :

إِنَّ هَؤُلاءِ الثَّلاثَةَ أَجْوَدُ عَصْرِهِمْ بِلاَ مُنَازِعٍ ، فَقَالَ :

هَذَا صَحِيحٌ، وَإِنْ كُنْتُ أَرَى فِيمَا فَعَلَهُ عَرَابَةُ الأَوْسِيّ مَا يَفُوقُ الوَصْفَ !



فَقَالُوا : صَدَقْتَ، إِنَّ عَرَابَةُ يُعْتَبَرُ أَكْثَرَهُمْ جُوداً لأَنَّهُ أَعْطَى جُهْدَهُ وأَنْفَقَ آخِرَ مَالَدَيْهِ، وَعِنْدَئِذٍ قَالَ الرَّجُلُ :

إِنَّ السَّخَاءَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ مَا يَبْذُلُهُ الْمَرْءُ، وَلَكِنَّهُ طَبْعٌ فِي النَّفْسِ. وَسَوفَ أَقُصُّ عَلَيْكُمْ قِصَّةً لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَر، وَهُوَ مِنْ أَسْخَى أَهْلِ زَمَانِهِ كَمَا تَعْرِفُونَ، لِكَيْ تُثْبِتَ لَكُمْ صِدْقَ مَا أَقُولُ .

فَقَالُوا فِي لَهْفَةٍ : وَمَا هَذِهِ الْقِصَّةُ ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ :

خَرَجَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ جَعْفَر ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى أَرْضِهِ لِيَتَفَقَّدَ عُمَّالَهُ هُنَاكَ، فَنَظَرَ إِلَى أَرْضٍ مُجَاوِرَةٍ فَوَجَدَ بِهَا غُلاماً أَسْوَدَ، وَمَعَهُ ثَلاثَةُ أَرْغِفَةٍ صَغِيرَةٍ،

ولمّا همّ هذا الغُلامُ بتناوُلِ طعامِه، إذْ دخلَ عليْهِ كلْبٌ فدنا منْهُ، فرمَى إليْه برَغيفٍ فأكلَهُ، ثمّ رمَى إليهِ بالثّاني والثّالثِ فأكلَهُما .

وراحَ عبْدُاللهِ بْنُ جعْفرٍ ينظُرُ إلى الغُلامِ في دهْشَةٍ، ثمّ اقْترَبَ منْهُ وسَألَهُ :

يا غُلامُ، كمْ أجْرُكَ كُلّ يوْمٍ ؟

فقالَ الغُلامُ : أجْرِي ثلاثةُ أرْغِفةٍ كُلّ يومٍ .

فقالَ عبْدُاللهِ في دهْشَةٍ : فلِمَ آثرْتَ الكلْبَ، ولَمْ تُبْقِ لنفسِكَ شيْئاً ؟

فقالَ الغُلامُ : لأنّ أرْضنا ليْستْ بأرْضِ كِلابٍ، وأحْسَبُ أنّهُ قدْ جاءَ منْ مَسافةٍ بعيدةٍ جائعاً، فكرِهْتُ ردّهُ !

فتعجّبَ عبْدُاللهِ بْنُ جعْفرٍ وقالَ :

فماذا ستصْنعُ سائرَ الْيوْمِ، وليْسَ يأتِيكَ طعامٌ حتّى الْغدِ ؟

فقالَ الغُلامُ : لا آكُلُ شيْئاً حتّى ينْقضِيَ الْيوْمُ .

وعِندَئذٍ قالَ عبْدُاللهِ بْنُ جعْفرٍ : واللهِ إنّ هذا لأسْخَى منّي..





فَتَعَجَّبَ الحَاضِرُونَ وَقَالُوا فِي دَهْشَةٍ :
وَمَاذَا صَنَعَ عَبْدُاللهِ بْنُ جَعْفَرٍ مَعَ هَذَا الْعَبْدِ ؟
فَقَالَ الرَّجُلُ :
اشْتَرَاهُ واشْتَرَى لَهُ الأَرْضَ الَّتِي كَانَ يَعْمَلُ فِيهَا وأَعْتَقَهُ وَوَهَبَ ذَلِكَ لَهُ !

وَهكَذَا يَكُونُ السَّخَاءُ والجُودُ، فَالسَّخِيُّ يَجُودُ عَلَى قَدْرِ مَا يَسْتَطِيعُ، حَتَّى وإِنْ كَانَ فَقِيراً، والغَنِيُّ يَجُودُ عَلَى قَدْرِ كَرَمِهِ.. وَفِي كِلْتَا الحَالَتَيْنِ، فَإِنَّ السَّخِيَّ الكَرِيمَ هُوَ الَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ وجُهْدَهُ مِنْ أَجْلِ مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلأَنَّهُ يُؤْمِنُ بِجَدْوَى النَّفَقَةِ والصَّدَقَةِ عَلَى الفُقَرَاءِ والمُحْتَاجِينَ، وَلاَ يَنْتَظِرُ ثَنَاءً وَلاَ حَمْداً مِنَ النَّاسِ.

قَالَ تَعَالَى :
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ..﴾ (البقرة : ٢٦٤)

وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي هَذَا المَعْنَى:

لَيسَ الكَرِيمُ الَّذِي يُعْطِي عَطِيَّتَهُ ... عَنِ الثَّنَاءِ، وَإِنْ أَغْلَى بِهِ الثَّمَنَا
بَلِ الكَرِيمُ الَّذِي يُعْطِي عَطِيَّتَهُ ... لِغَيْرِ شَيْءٍ، سِوَى اسْتِحْسَانِهِ الحَسَنَا
لاَ يَسْتَثِيبُ بِبَذْلِ العرف مَحْمَدَةً ... وَلاَيَمُنُّ إِذَا مَا قَلَّدَ المِنَنَا..